بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة: سَعة رحمة اللّه باب الأمل وطريق النجاة

عصمة النفس البشرية.. ولماذا كان الألم من مظاهر رحمة اللّه؟

الانتحار من أكبر الكبائر.. والمنتحر بين يدي اللّه

الواجبات العشرة الواجبة علينا الآن

نداء إلى الأمة: خفّفوا كربَ المكروبين يُخفّف اللّهُ عنكم في الدنيا ويوم الدين

بقلم الدكتور

أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٢٩ شوال ١٤٤٧هـ / ١٧ أبريل ٢٠٢٦م موقع صوت الدعاة - صفحة معارج الدعاة

الحمد لله، الرحمن الرحيم، الذي وسِعَتْ رحمتُه كلَّ شيء، وسبقت رحمتُه غضبَه، وكتب على نفسه الرحمة، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل الرحمة عنوان دينه، وأساس معاملته لعباده، وأرسل خاتم لأنبياء والمرسلين من أجل الرحمة، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) عبدُه ورسولُه، أرسله الله رحمةً للعالمين.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأشرقان، الأنوران المضيئان، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمِعت كلُّ الكمالات فيه... وعلى آله وصحبه وتابعيه..

فمَبْلَغُ العِلمِ فِيهِ أنَّهُ بَشَرٌ *** وَأنَّهُ خَيْرُ خَلقِ اللّهِ كلهم

مَوْلايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أبَدًا *** عَلى حَبِيبِكَ خَيْرِ الخَلقِ كلهم

اللهم رَضِّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا يا ربنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ...) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) (الأحزاب: ٧٠).

وقال الجليل (جلَّ وعلا): (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣). أما بعد...

فاللهم إني أسألك الفتح والتيسير والتسهيل والتأثير والإخلاص والقبول...

استهل الحديث في هذا الموضوع بالأبيات التالية:

وَلَرُبَّ نازلَةٍ يَضيقُ لَها الفَتى *** ذَرعًا وَعِندَ اللهِ مِنها المَخرَجُ

ضاقَت فَلَمّا استَحكَمَت حَلَقاتُها *** فُرِجَت وَكُنتُ أَظُنُّها لا تُفرَجُ

- ونقول لكل مُبتلى، ولكل إنسان دخل في غمار الحياة، وتحدياتها، ومشكلاتها، تذكر دائما هذه الكلمات:

لا تخف من أي شيء روعك	كن مع اللهِ يكن ربي معك
وإذا نابك كربٌ فاصطبر	وادع مولاك وجفف أدمُعك
ما لنا إلا إلهٌ واحدٌ	فاسأل الكون وقل مَن أبدعك

واسأل الحمل جنينا في الحشى		مَن رعاك الآن مَن ذا أشبعك
واسأل البدر مضيئا في الدجى		باعثا أنواره ما أروعك
واسأل الشطآن عن أمواجها		واسأل البحر أتدري منبعك
واسأل الصبح تجلى مسفرًا		بعد ليل حالك من أطلعك
واسأل سل رسول الله قل يا مصطفى		يا شفيع الخلق من قد شفعك
إنه ربي إله واحد		كن مع الله يكن ربي معك[1]

أيها المؤمنون: اعلموا أنكم تعيشون في بحار نِعم الله، وفي بحارٍ رحمات الله، وفي بحار فضل الله، وأنفاسكم التي تتردد بين صدوركم إنما هي أثرٌ من آثار رحمته (جل وعلا).

ولا ريب في أن الحديث عن رحمة الله (تعالى) حديثٌ طويل عريض ممتد لا ينتهي، ولكن حسبنا أن نقف مع بعض المشاهد التي تُجسِّد بعض معاني هذه الرحمة الواسعة وبعض معالمها.

إن رحمت الله تعالى شملت كل شيء: الجنين، والوليد، والفطيم، والصبي، والشباب، والرجل والمرأة، والهرم والشيخ الكبير، والضعيف، والمعاق، والمريض.. الإنسان والحيوان، والنبات وحتى الجماد...

وآيات الله الكثيرة التي تحث على الرحمة يتردد صداها في أرجاء المعمورة ليل نهار، في كل وقت وحين بل في كل لحظة الحياة...

قال الله عز وجل: (قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام: ١٢).

وقال: (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (الأنعام: ٥٤).

وقال تعالى: (...إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (البقرة: ١٤٣).

وقال تعالى: (... إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (الأعراف: ٥٦).

والعجيب أن كلمة "رحمت" جاءت في قوله تعالى: (... إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) بالتاء المفتوحة (المبسوطة) تماشيًا مع رسم المصحف العثماني؛ وللإشارة إلى اتساع وانبساط الرحمة الخاصة للمحسنين، وتحققها ووقوعها، وذكر عدد من المفسرين أن التاء المفتوحة في بعض المواضع تشير إلى أن الرحمة هنا تقتضي قرب الله تعالى نفسه من المحسنين، وليس فقط قرب الرحمة كأمر منفصل..

بينما جاءت كلمة "قريب" مذكّرة لأن الرحمة أضيفت لفظ الجلالة فاكتسبت التذكير. بلاغة تذكير (قَرِيبٌ): لأن الرحمة هنا بمعنى "عفو الله" أو "غفرانه" أو "إحسانه"... والله تعالى أعلى وأعلم.

ويقول الحق تبارك وتعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ) (الأعراف: ١٥٦).

وقد أشار النبي (ﷺ) إلى هذا المعنى، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (لَمَّا قَضى اللهُ الخَلقَ كَتَبَ في كِتابِه فهو عِندَه فوقَ العَرشِ: إنَّ رَحمَتي غَلَبَت غَضَبي) [2] .

من عظيم رحمة الله (عز وجل):

- "**سعة كرمه وجوده وفضله، وكثرة نعمه ومننه وتواترها على عباده ومخلوقاته**، فقد شمل اللهُ (سبحانه) الناسَ أجمعين بخيره وفضله وكرمه ومنته، وعم بجوده العالمين: قال تعالى: (وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم: ٣٤) وقال سبحانه: (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ..) (النحل: ٥٣).
- **الله (تعالى) لا يكلف نفسا إلا وسعها، ويريد اليسر بعباده**: قال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) (البقرة: ٢٨٦)، وقال سبحانه: (...يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...) (البقرة ١٨٥).
- **أنه تكفل برزق عباده ومخلوقات جميعا، ولم يكل أحدا إلى أحد**، قال تعالى: (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (هود: ٦).

---

(١) من قصيدة للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم، ألقها في المجلس الثالث من شرح (كتاب صحيح الإمام مسلم) بالرواق الأزهري بالجامع الأزهر الشريف، ٣ جمادى الأولى ١٤٤٠هـ/ ٥ فبراير ٢٠١٩م.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

- **أنه سَخّر لعباده ما في السماوات والأرض جميعًا منه**، وذلك لقيام مصالح الحياة وانتظام المعيشة، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) (الحج: ٦٥)، وقال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (الجاثية: ١٣) .
- **انظروا إلى عظيم كرم الله أن العبد إذا أراد السيئة، فتركها خوفا من الله وطمعا في رحمته كتبت له حسنة**؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ: (يقولُ اللهُ: إذا أرادَ عَبدي أن يَعمَلَ سَيِّئةً فلا تَكتُبوها عليه حتَّى يَعمَلَها، فإن عَمِلَها فاكتُبوها بمِثلِها، وإن تَرَكَها مِن أجلي فاكتُبوها له حَسَنةً، وإذا أرادَ أن يَعمَلَ حَسَنةً فلَم يَعمَلْها فاكتُبوها له حَسَنةً، فإن عَمِلَها فاكتُبوها له بعَشرِ أمثالِها إلى سَبعِ مِئةِ ضِعفٍ) (٣) .
- **أنه تعالى يغفر الذنوب جميعًا ويقبل التوبة**؛ قال جل وعلا: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر: ٥٣) فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (قال اللهُ تعالى: يا ابنَ آدَمَ، إنَّك ما دَعَوتَني ورَجَوتَني غَفرتُ لك على ما كان منكَ ولا أُبالي، يا ابنَ آدَمَ، لو بلغتْ ذُنوبُك عَنانَ السماءِ ، ثم استغفَرْتَني غَفرتُ لك ولا أُبالي ، يا ابنَ آدَمَ، إنَّك لو أتيتَني بقُرابِ الأرضِ خَطايا، ثم لَقيتَني لا تُشرِكُ بي شيئًا، لأتيتُكَ بقُرابِها مَغفِرةً) (٤) .
- **أنه تعالى يعطي الجزاء ويعظم الأجر إذا خلصت النية حتى وإن لم يوفق صاحبها للعمل**. أخرجه البخاري في صحيحه أن أبا بُردةَ بنَ أبي مُوسى الأشعريَّ، اصطحب يَزيد بن أبي كَبشةَ في سَفَرٍ، فكان يَزيدُ يَصومُ في السَّفَرِ، فقال له أبو بُردةَ: سَمِعتُ أبا موسى –يعني أباه– مِرارًا يقولُ: قال رَسولُ اللهِ (ﷺ): (إذا مَرِضَ العَبدُ أو سافَرَ كُتِبَ له مِثلُ ما كان يَعمَلُ مُقيمًا صَحيحًا) (٥) .
- ومن جميل رحمته (سبحانه وتعالى) أنه **جعل الابتلاء بابا إلى الرفعة والحسنات والدرجات**، فعن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (ما يُصيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ (٦) ولَا وصَبٍ(٧)، ولَا هَمٍّ (٨) ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ) (٩)؛ فالدنيا متغيرة الأحوال، لا تستقيم لأحد على حال؛ ضيق وفرج، فرح وحزن، شغل وفراغ، فقر وغنى، عافية وبلاء، صحة ومرض، وفي كل خير؛ يقول النبي (ﷺ): (عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكانَ خَيْرًا له) (١٠)، والله (عز وجل) إذا أحب قوما ابتلاهم، فعن أنس بن مالك (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (إن عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإن اللهَ عز وجل إذا أَحَبَّ قومًا ابتلاهم ؛ فمن رَضِيَ فله الرِّضَى، ومن سَخِطَ فله السُّخْطُ) (١١) .

---

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٤) أخرجه شعيب الأرناؤوط في تخريج رياض الصالحين – حسن، وأخرجه الترمذي باختلاف يسير، وأحمد بمعناه مختصرًا.

(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.. لقد تَفضَّلَ اللهُ (سُبحانَه) على عِبادِه المُتَّقينَ بمَزيدِ الأجْرِ والثَّوابِ على الأعمالِ في جَميعِ أحوالِهم، مِنَ الصِّحَّةِ والمَرَضِ، والتَّفرُّغِ والانشِغالِ. وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ التَّابِعيُّ إبراهيمُ أبو إسماعيلَ السَّكسَكيُّ أنَّ التَّابِعيَّيْنِ: أبا بُردةَ بنَ أبي مُوسى الأشعريَّ، ويَزيدَ بنَ أبي كَبْشةَ، خَرَجا مَعًا في سَفَرٍ، فكان يَزيدُ يَصومُ تَطوُّعًا في السَّفَرِ، فأخبَرَه أبو بُردةَ: أنَّه سَمِعَ أباه أبا مُوسى الأشعريَّ (رَضيَ اللهُ عنه) أكثَرَ مِن مَرَّةٍ وهو يَقولُ: قال رَسولُ اللهِ (ﷺ): «إذا مَرِضَ العَبدُ أو سافَرَ، كُتِبَ له مِثلُ ما كان يَعمَلُ مُقيمًا صَحيحًا»، فإنَّ مَن كانَ يَعمَلُ عَمَلًا صالِحًا، مِن صَلاةٍ تَطوُّعٍ أو صيامٍ تَطوُّعٍ أو نَحوِ ذلك، ثمَّ سافَرَ أو مَرِضَ، فمَنَعَه ذلك مِن أداءِ العِبادةِ التي كان يَتطوَّعُ بها؛ كَتَبَ اللهُ له أجْرَ العِبادةِ التي كان يَفعَلُها في حالِ صِحَّتِه، وحالِ إقامتِه.

وقيلَ: تَدخُلُ في ذلك الفَرائِضُ التي شأْنُها أنْ يَعمَلَ المُسلِمُ بها وهو صَحيحٌ إذا عَجَزَ عن جُملَتِها، أو بَعضِها بالمَرَضِ، كُتِبَ له أجْرُ ما عَجَزَ عنه، حتَّى صَلاةُ الجالِسِ في الفَرضِ لِمَرَضِه، يُكتَبُ له عنها أجْرُ صَلاةِ القائِمِ. وفي الحَديثِ: عَظيمُ فَضلِ اللهِ تعالَى على عِبادِه، وفَضلُ العَمَلِ في حالِ الإقامةِ والصِّحَّةِ؛ لِيَنالَ الإنسانُ هذا الأجْرَ إذا سافَرَ أو مَرِضَ. المصدر: الدرر السنية الحديثية.

(٦) «نَصَبٌ»، وهو ما يَشعُرُ به مِن تَعبٍ في أعمالِ الخيرِ وطَلَبِ الحلالِ، ويَشمَلُ أيضًا كلَّ وجَعٍ وفُتورٍ يُصيبُ البدَنَ.

(٧) «وَصَبٌ» وهو وَجعٌ مُلازِمٌ ومُستمِرٌ لصاحبِهِ، وهو ما يُعرَفُ في عَصرِنا بالمرضِ المزمِنِ .

(٨) والهمُّ هو الكَرْبُ والغَمُّ بسَبَبِ مَكروهٍ وقَعَ بِهِ، ويَنشَأُ الهمُّ عن الفكرِ فيما يُتوقَّعُ حُصولُه ممَّا يُتأذَّى به، والغمُّ كَربٌ يَحدُثُ للقلبِ بسَببِ ما حَصَل، وقيل: الهمُّ والغمُّ واحدٌ.

(٩) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(١٠) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(١١) أخرجه الترمذي ، وابن ماجه – حسن.

وإن المتدبر لآيات القرآن الكريم، وسنة سيد المرسلين، وقصص السابقين، ليجد جليا أن من رحمة الله (عز وجل) بنا أن الشدة لا تدوم، بل يعقبها فرج ويسر، فرح وسرور، قال تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا .إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (الشرح: ٥- ٦)، ويقول سبحانه (...لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) (الطلاق: ٧). ويقول سيدنا النبي (ﷺ): (...وأنَّ النَّصرَ مع الصَّبرِ، وأنَّ الفرَجَ مع الكربِ، وأنَّ مع العسرِ يسرًا) (١٢).

فيا من داهمته الأحزان، وبات وهو سهران، وأصبح في أمره حيران، يا من أضناه الهم، وأبكاه الكرب، أنسيت من بيده الخير والضر" (١٣)، وهو سبحانه القائل: (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) (النمل ٦٢).

- **أن الله سيدخل أناسا كثيرين من أمة الإسلام الجنة بغير حساب**، فعن أبي أمامة الباهلي (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (وعدَني ربّي أن يُدْخِلَ الجنَّةَ مِن أمَّتي سبعينَ ألفًا لا حسابَ علَيهِم ولا عذابَ، معَ كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفًا، وثلاثُ حثَياتٍ مِن حَثَياتِه) (١٤).

الحَثْيَةُ: هي في الأصل ملء الكفين من الشيء. والمقصود بها في هذا السياق: العطاءُ الإلهي الواسع والمتتابع الذي لا يحيط به عدٌّ ولا حساب، في إشارة إلى أفواج من المسلمين يمنّ الله عليهم بدخول الجنة بغير حساب ولا عذاب. وقد اختُلف في تفصيل الأعداد المرتبطة بهذه الحثَيات، لكن الغاية الأساسية هي بيان سَعة الكرم الرباني. معَ تنزيهِ اللهِ (سبحانه وتعالى) عن مُشابَهةِ الخَلْقِ في الحَثْوِ؛ فاللهُ (عزَّ وجلَّ) ليس كمِثلِه شيءٌ، وكيفيَّةُ حَثْوِ اللهِ لا يَعلَمُها إلَّا اللهُ (سبحانه).

- **إنّ الله تعالى أقام نظام الحياة على سُنّة التكامل، فجعل الناس محتاجين بعضهم إلى بعض**، وربط مصالحهم ربطًا محكمًا لا تستقيم معه الحياة إلا بالتكامل بينهم؛ فكلُّ إنسانٍ –مهما بدا دوره صغيرًا– له أثرٌ عظيمٌ لا يُستغنى عنه في عمارة الكون وانتظامه. قال تعالى: (...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ...) (المائدة: ٢).

عشر نفحات من رحمة اللّه في آية واحدة

قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر: ٥٣) .

يقول الإمام فخر الدين الرازي (رحمه الله): اعْلَمْ أنَّ هَذِهِ الآيَةَ تَدُلُّ عَلى الرَّحْمَةِ مِن وُجُوهٍ كثيرة.

الأوّل: أنَّ الله (سبحانه وتعالى) سَمّى المُذْنِبَ بِالعَبْدِ، والعُبُودِيَّةُ مُفَسَّرَةٌ بِالحاجَةِ والذِّلَّةِ والمَسْكَنَةِ، واللّائِقُ بِالرَّحِيمِ الكَرِيمِ إفاضَةُ الخَيْرِ والرَّحْمَةِ عَلى المِسْكِينِ المُحْتاجِ.

الثاني: أنَّهُ (تَعالى) أضافَهم إلى نَفْسِهِ بِياءِ الإضافَةِ فَقالَ: (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا) وشَرَفُ الإضافَةِ إلَيْهِ يُفِيدُ الأمْنَ مِنَ العَذابِ.

الثالث: أنَّهُ (تَعالى) قالَ: (أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) ومَعْناهُ أنَّ ضَرَرَ تِلْكَ الذُّنُوبِ ما عادَ إلَيْهِ بَلْ هو عائِدٌ إلَيْهِمْ، فَيَكْفِيهِمْ مِن تِلْكَ الذُّنُوبِ عَوْدُ مَضارِّها إلَيْهِمْ، ولا حاجَةَ إلى إلْحاقِ ضَرَرٍ آخَرَ بِهِمْ.

الرابع: أنَّهُ (تَعالى) قالَ: (لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) نَهاهم عَنِ القُنُوطِ، فَيَكُونُ هَذا أمْرًا بِالرَّجاءِ، والكَرِيمُ إذا أمَرَ بِالرَّجاءِ فَلا يَلِيقُ بِهِ إلّا الكَرَمُ.

الخامس: أنَّهُ تَعالى قالَ أوَّلًا: (يَا عِبَادِيَ) وكانَ الألْيَقُ أنْ يَقُولَ: لا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَتِي، لَكِنَّهُ تَرَكَ هَذا اللَّفْظَ وقالَ: (لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) لِأنَّ قَوْلَنا: (اللَّهِ) أعْظَمُ أسْماءِ اللَّهِ وأجَلُّها، فالرَّحْمَةُ المُضافَةُ إلَيْهِ يَجِبُ أنْ تَكُونَ أعْظَمَ أنْواعِ الرَّحْمَةِ والفَضْلِ.

السادس: أنَّهُ لَمّا قالَ: (لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) كانَ الواجِبُ أنْ يَقُولَ: إنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، ولَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ، بَلْ أعادَ اسْمَ اللَّهِ وقَرَنَ بِهِ لَفْظَةَ "إنَّ" المُفِيدَةَ لِأعْظَمِ وُجُوهِ التَّأْكِيدِ، وكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلى المُبالَغَةِ في الوَعْدِ بِالرَّحْمَةِ.

---

(١٢) أخرجه الترمذي مختصراً بنحوه، وأحمد باختلاف يسير، وأخرجه ابن رجب في جامع العلوم والحكم – حسن جيد.

(١٣) الدكتور/ محمد حسن داود: سعة رحمة الله باب الأمل وسبيل النجاة ٢٩ شوال ١٤٤٧هـ – ١٧ أبريل ٢٠٢٦م.

(١٤) أخرجه الترمذي – صحيح.

السابع: أنَّهُ لَوْ قالَ: (يَغْفِرُ الذُّنُوبَ) لَكانَ المَقْصُودُ حاصِلًا، لَكِنَّهُ أرْدَفَهُ بِاللَّفْظِ الدّالِّ عَلى التَّأْكِيدِ فَقالَ: (جَمِيعًا) وهَذا أيْضًا مِنَ المُؤَكِّداتِ.

الثامن: أنَّهُ وصَفَ نَفْسَهُ بِكَوْنِهِ غَفُورًا، ولَفْظُ الغَفُورِ يُفِيدُ المُبالَغَةَ.

التّاسع: أنَّهُ وصَفَ نَفْسَهُ بِكَوْنِهِ رَحِيمًا والرَّحْمَةُ تُفِيدُ فائِدَةً عَلى المَغْفِرَةِ، فَكانَ قَوْلُهُ: (إنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) إشارَةً إلى إزالَةِ مُوجِباتِ العِقابِ، وقَوْلُهُ: (الرَّحِيمُ) إشارَةً إلى تَحْصِيلِ مُوجِباتِ الرَّحْمَةِ والثَّوابِ.

العاشر: أنَّ قَوْلَهُ (تَعالى): (إنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) يُفِيدُ الحَصْرَ، ومَعْناهُ أنَّهُ لا غَفُورَ ولا رَحِيمَ إلّا هو، وذَلِكَ يُفِيدُ الكَمالَ في وصْفِهِ سُبْحانَهُ بِالغُفْرانِ والرَّحْمَةِ، فَهَذِهِ الوُجُوهُ العَشَرَةُ مَجْمُوعَةٌ في هَذِهِ الآيَةِ، وهي بِأسْرِها دالَّةٌ عَلى كَمالِ الرَّحْمَةِ والغُفْرانِ، ونَسْألُ اللَّهَ تَعالى الفَوْزَ بِها والنَّجاةَ مِنَ العِقابِ بِفَضْلِهِ ورَحْمَتِهِ [١٥].

الألم.. من مظاهر رحمة اللّه بالإنسان [١٦]

الألم الذي يشعر به الإنسان ويحسبه مِحنَة، هو من صميم منح الله تعالى ورحمته به.

والألم أحد مظاهر تقويم الله لبني البشر.. فهو اختبار للشخص، ومحرك له نحو صلاحه وإصلاحه.

وقد أراد الله تعالى أن يكون الألم صنو الحياة؛ فخلق للإنسان جهازا آية في الإعجاز، يستشعر من خلاله الألم والإحساس والشعور والحياة.. والعضو الميت لا يحسّ ألمًا؛ لذلك فإن أخطر الأمراض هي تلك تسري وتتطور دون ألم، وتعمل في خفاء وسكون إلى أن تصل إلى مرحلة خطرة يصعب علاجها، كبعض أمراض السرطان.. لذلك فإن الألم إنذار مبكر لدفع المريض دفعا على التداوي، أليس الألم عندئذ رحمة من الله؟!.

ولقد كان الألم سببا في تحريك القلم وشحذ الهمم وقيادة العقل البشري إلى نهضة فكرية لاكتشاف الألم أين هو؟ والبحث عن مسبباته ومسكناته وعلاجاته.. وتدوينها لإفادة البشر في كل مكان.

وكان الألم سببا في نشأة مدارس وكليات الطب والصيدلة والتمريض وغيرها..

وكان الألم أيضا سببا في إيجاد ملايين من فرص العمل للأطباء والباحثين والممرضين والعاملين في مجال التحاليل الطبية والأشعة وغيرهم ممن يعملون في رعاية مَن يتألمون..

وكان الألم رحمة من الله تعالى وسببا في زراعة ملايين الأفدنة من النباتات الطبية التي يعمل فيها ملايين البشر في كل مكان.

وكان الألم كذلك رحمة من الله وسببا في نشأة الآلاف من مراكز البحوث الطبية والصيدلية، والآلاف من مصانع وشركات الأدوية والتي يعمل فيها كثيرون من البشر حول العالم.

ومن عظيم رحمة الله تعالى ببني الإنسان أن جعل الآلام أنواعا شتى وصورا متباينة؛ لضبط حركة الإنسان، وحركة الحياة!!

- ألم يكن ألم الجسد عزيزي القارئ سببا في دفع الشخص نحو التداوي من أجل الشفاء واستعادة الصحة لإعمار الكون والحياة؟!.
- ألم يكن ألم النفس سببا في عدولها عن طريق الضلال، والاتجاه سلوك سبيل الله المستقيم؟!.
- ألم يكن ألم الضمير سببا في إحقاق الحق والبعد عن الظلم ورد المظالم إلى أصحابها؛ حتى يسكن الضمير من آلامه؟!.
- ألم يكن ألم الفقر سببا في سعي الفقير في مناكب الأرض والأكل من رزق الله، وإجادة العمل وزيادة الإنتاج، والبراعة فيه، وتحليه بقيم الشرف والحرية والاعتماد على النفس، ومن ثم البعد عن الاتكالية أو الأكل من عَرق الغير؟!.
- ألم يكن ألم الراسبين في الامتحانات سببا في تفجير طاقاتهم نحو بذل الجهد والجد والمثابرة؛ لتحقيق النجاح المنشود؟!.
- ألم يكن ألم الهزيمة في الحروب سببا في تعبئة الجهود والتدريب والتسليح والتخطيط لتحقيق النصر المبين؟!.
- ألم يكن ألم الظلم سببا في اللجوء إلى الله والتعلق بحباله وتحقيق الوصال الدائم مع الله؟!.
- ألم يكن ألم المرض سببا في جمع القلوب النافرة ودافعا للرحمة والتعاطف الاجتماعي، وسببا في تحقيق الصلح بين المتخاصمين؟!.

---

(١٥) انظر تفسير الرازي للإمام فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ) للآية الكريمة.

(١٦) د. أحمد علي سليمان: الألم.. من مظاهر رحمة الله بالإنسان، مقال منشور في صحيفة الفجر، بتاريخ ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٣م

• ألم يكن ألم الجوع سببا في تفجير ينابيع الخير والعطاء والسخاء في قلوب الناس، وتحقيق التكافل والتراحم بين الناس؟!.

• ألم يكن ألم رؤية الحوادث والمصائب سببا في مزيد من الحيطة والحذر، والأخذ بالأسباب للسعي نحو النجاة؟!.

• ألم يكن ألم الصبر وانتظار مال أو زواج أو إنجاب.. إلخ سببا في زيادة الدعاء والتعلق بحبال الله، وعدم فتور علائقنا بالله، ومن ثم تحقيق خصيصة الصبر وخصيصة الرجاء وخصيصة الأمل، وزيادة رصيدنا في بنك الرحمنّ؟.

وهكذا يتجلى لنا أن الألم مظهر من مظاهر رحمات الله تعالى لبني الإنسان أ هـ.

من مظاهر سَعة رحمة اللّه بالإنسان

مظاهر سَعة رحمة الله بالإنسان كثيرةٌ لا تُحصر، وهي ممتدة في كل تفاصيل الحياة؛ إذ يعيش الإنسان في ظلال رحمةٍ ربانيةٍ شاملة، تستهدف صلاحه في الدنيا والآخرة.

ويمكن إبراز أهم هذه المظاهر في صورةٍ جامعةٍ على النحو الآتي:

أولًا: رحمة الله في الخلق والإيجاد

خلق الله الإنسان من عدم، وأكرمه بالعقل والروح، وصوّره في أحسن تقويم، قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) (الإسراء: ٧٠)، وهذه الرحمة الأولى التي أسهمت في وجود الإنسان ذاته.

ثانيا: رحمة الله في الهداية والإرشاد

لم يترك الله الإنسان تائهًا، بل أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وبيَّن طريق الحق والباطل، قال تعالى: (رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (النساء: ١٦٥)، فالهداية من أعظم مظاهر رحمته.

ثالثًا: رحمة الله في التشريع والتكليف

جاءت الشريعة ميسَّرة، قائمة على الرفق ورفع الحرج، قال سبحانه: (...يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...) (البقرة ١٨٥)، فالتكاليف في حدود الطاقة، والرخص بابٌ من أبواب الرحمة.

رابعا: رحمة الله في المغفرة وقبول التوبة

فتح الله باب التوبة مهما عظمت الذنوب –عدا الشرك بالله–، قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر: ٥٣)، وهذه من أوسع صور الرحمة، حيث يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب.

خامسا: رحمة الله في الرزق والعطاء

يرزق الله الإنسان من حيث لا يحتسب، ويعطيه فوق ما يستحق، ويغدق عليه النعم الظاهرة والباطنة، قال تعالى: (...وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا...) (إبراهيم: ٣٤).

سادسا: رحمة الله في البلاء والابتلاء

حتى البلاء يحمل في طياته رحمة؛ إذ يُكفِّر الذنوب، ويرفع الدرجات، ويوقظ القلوب، يقول النبي (ﷺ): (عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكانَ خَيْرًا له) (١٧).

سابعا: رحمة الله في تأخير العقوبة

لا يعجِّل الله بالعقاب رغم المعاصي، بل يُمهل العبد ليرجع ويتوب، قال تعالى: (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) (النحل: ٦١).

ثامنًا: رحمة الله في الآخرة

تتجلى الرحمة بأعظم صورها في دخول الجنة، والنجاة من النار، قال ﷺ: (سَدِّدوا وقارِبوا واعلَموا أنَّه لَن يَدخُلَ أحَدٌ الجَنَّةَ بعَمَلِه)، قالوا: ولا أنتَ يا رَسولَ اللهِ، قال: (ولا أنا إلَّا أن يَتَغَمَّدَنِي اللهُ برَحمَتِه) (١٨).

تاسعا: رحمة الله العامة والخاصة

---

(١٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(١٨) أخرجه مسلم ، وأحمد كلاهما باختلاف يسير، والبخاري بنحوه، و صديق خان في فتح البيان – صحيح.

رحمة عامة تشمل جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم (في الرزق والصحة)، ورحمة خاصة بالمؤمنين في الهداية والتوفيق والآخرة.

عاشرا: رحمة الله في العلاقات الإنسانية

جعل الله الرحمة في قلوب العباد، في الوالدين، وبين الأزواج، وفي المجتمع، قال (ﷺ): (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ...) (١٩).

وهكذا فإن رحمة الله ليست جانبًا واحدًا، بل هي نظام حياة كامل، يحيط بالإنسان من قبل مولده إلى ما بعد موته، بل وإلى نعيمه الأبدي؛ فهي رحمةٌ في الخلق، ورحمةٌ في التكليف، ورحمةٌ في الجزاء.

انظروا إلى آثار رحمة الله !

إنَّ رحمةَ اللهِ قريب من المحسنين؛ قُربَ عنايةٍ وإجابةٍ وفضلٍ يتنزَّل على القلوب قبل الأبدان، فتُحيي ما خَمُد، وتُصلح ما فسد، وتُورِق ما ذَبُل منها.

وتتجلَّى هذه الرحمة الإلهية كخيطٍ خفيٍّ ينسج تفاصيل الوجود، فيحوِّل الوحشةَ إلى أُنس، والجدبَ إلى عطاءٍ لا ينقطع.

انظروا إلى آثار رحمة الله. !

أولًا: إحياء الموات... من السكون إلى الضجيج بالحياة

انظر بعين البصيرة إلى آثار رحمة الله في الأرض؛ كيف تكون هامدةً يابسةً، فإذا نزلت عليها قطرات الرحمة اهتزَّت وربت، ولم تُنبت فحسب، بل تستيقظ فيها "روح" الحياة، فتتحوَّل الصحراء القاحلة إلى واحاتٍ عامرة، ويتحوَّل الصمتُ الجدب إلى تسبيحٍ ناطق بخضرة الشجر وعطر الزهر.

وكيف كانت الأرض خاليةً من الذكر، فإذا بها –برحمة الله– محرابًا عامرًا؛ فكل غرسٍ ينمو تسبيحة، وكل كائنٍ يدبُّ فيها شاهدٌ على أن رحمة الله وسعت كل شيء، فتلهج الأكوان كلُّها بحمد خالقها.

ثانيًا: الرحمة في الروابط البشرية

ومن آثار رحمة الله: ما أودعه في القلوب من معاني التراحم؛ فحنوُّ الوالدين على صغيرهما سرٌّ إلهيٌّ يفوق كل وصف، حيث تسهر الأم ليطمئن وليدها، ويكدح الأب ليأمن عيشه؛ إنها رحمة الله متجسدة في إيثارٍ فطري.

إضافة إلى ما يغرسه في قلب الابن من برٍّ بوالديه عند كِبَرِهما، فيصير لهما ظلًّا ورحمة، يلين لهما كما لانا له في صغره، في دورةٍ بديعةٍ من الوفاء الإنساني الذي يستهدف بقاء المودة واستمرار المعروف.

ثالثًا: تجليات الرحمة في ملكوت السماوات والأرض

وتتجلَّى رحمة الله في الكون كلِّه؛ فالسماءُ قائمةٌ بإمساكٍ رحيم، والسحابُ يُساق رزقًا محمولًا ليحيي بلدةً ميتًا، والجبالُ أوتادٌ تحفظ توازن الأرض رحمةً بأهلها، والبحارُ والمحيطاتُ خزائنُ أرزاقٍ لا تُحصى.

وفي المزروعات نموٌّ وعطاء، وفي عالم الحيوان تراحمٌ عجيب؛ حتى إن الدابة لترفع حافرها عن صغيرها خشية أن تؤذيه.

إضافة إلى ما في الكائنات التي لا نراها من تدبيرٍ دقيقٍ يحفظ توازن الحياة، لولاها لاختلَّ النظام وفسدت المعايش؛ وكل ذلك يجري في نظامٍ محكم، يشهد بأنَّ الرحمة هي القانون الحاكم لهذا الوجود.

رابعا: الرحمة في العقل والهداية والتشريع

ومن أعظم آثار رحمة الله: ما وهب الإنسان من عقلٍ يُبصر به الحقائق، ويُميِّز بين الخير والشر، فيكون سبيلًا للهداية.

ثم تتجلَّى الرحمة الكبرى في إرسال الرسل، وإنزال الشرائع، إذ تستهدف هداية الإنسان وصيانته من الضلال؛ فلم يتركه الله تائهًا، بل أقام له منارات تهديه، وسبلًا توصله.

وجعل باب التوبة مفتوحًا لا يُغلق، والأوبة ميسورةً لا تُعسَّر؛ فكلما زلَّ العبد وجد "حضنًا ربانيًّا" يتلقاه، فيغسل عنه أدران الذنب، ويمنحه فرصةً جديدةً للصفاء والقرب.

خامسا: الرحمة في المنع... باعتباره منحا

ومن دقيق رحمة الله: أن يأتي العطاء في صورة منع، وأن تتجلَّى المنح في ثوب الحرمان؛ فقد تتعطَّل عن أمرٍ، أو يتأخر عنك موعد، أو يفوتك مطلبٌ كنت تُلحُّ فيه، فتضيق، وهو في الحقيقة نجاةٌ لك من هلاكٍ محقَّق، أو دفعُ بلاءٍ مُبرم.

---

(١٩) أخرجه الترمذي في سننه– حسن صحيح.

إنها رحمةٌ خفية، تتدخل لتصرفك عمَّا يضرك، وتدفعك إلى ما ينفعك، فالله يمنعك ليعطيك ما هو أبقى، ويؤخِّرك ليقدِّم لك الخير في أوانه.

وهكذا فآثار رحمة الله منهجُ حياةٍ يطمئن به القلب، ويستقيم به السلوك؛ إذ كل ما في الكون –من ذرة الرمل إلى اتساع السماء– شاهدٌ على رحمةٍ سبقت الغضب، وأحاطت بكل شيء.

فطوبى لمن نظر فاعتبر، وتفكَّر فشكر، فازداد قربًا من ربِّه، وكان من المحسنين الذين نالتهم رحمة الله قربًا وفضلًا ورضوانًا.

الابتلاءُ طريقُ الاصطفاء
وسرُّ رفعة الأنبياء والأولياء والصابرين

الحياةُ قائمةٌ على سُنَّةٍ ربانيةٍ ماضيةٍ، ألاَ وهي سُنَّةُ الابتلاء والتمحيص. فالرخاء الدائم قد يُورث النفس غفلةً وركوناً للدنيا؛ لذا اقتضت حكمة الله أن يبتلي عباده ليميز الصادق من المدَّعي، والثابت من المتزلزل، قال تعالى: (الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (العنكبوت: ١-٣). فالفتنُ كالنارِ التي تُصهَرُ بها المعادن، فتُخرج خالصَ الذهب من خبثه، لتكشف بوضوح عن حقيقة معادنَ الناس، وتُسقط الأقنعة الزائفة.

ولولا الابتلاءُ ما ارتفعت الدرجات، ولا تمايزت المقامات، ولا سُمِع لأهل الصبر أنينٌ صادقٌ في جوف الليل يرفعهم عند ربهم إلى أعلى عليين؛ ولذلك قال سبحانه: (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة: ١٥٥- ١٥٧). وقال النبي ﷺ مبيناً هذه الحقيقة: «إن عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وإنَّ اللهَ إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط».

وقد تكون الفتنةُ رحمةً مستترة، ولطفاً خفياً، يردُّ الله بها العبدَ إليه بعد طول شرود، ويوقظه من غفلته، ويأخذه من غيِّه إلى رشده، كما قال جل وعلا: (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (السجدة: ٢١). فكم من محنةٍ قاسيةٍ كانت هي نقطة التحول نحو هدايةٍ لا ضلال بعدها!

الأنبياء.. نماذج حية للصبر والثبات

إن أشدَّ الناس بلاءً الأنبياءُ، ثم الأمثلُ فالأمثل؛ لأنهم قادةُ الطريق، وحملةُ الرسالة، وقد اصطفاهم الله ليكونوا مناراتٍ يُهتدى بها في الصبر والثبات، ولتتأسى بهم البشرية في أوقات المحن:

سيد الخلق سيدنا محمد (ﷺ): أُوذي في نفسه، وكُذِّب من أقرب الناس إليه، وحُوصِر في الشِعب حتى أكلوا أوراق الشجر، وتجمَّع عليه المشركون في الأحزاب. عاش "عام الحزن" بفقده لأكثر من ناصره، وفَقَدَ الأحبةَ ولدًا بعد ولد، حتى قال ودموعه تفيض: «إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن». ومع ذلك ما لانَت له قناة، ولا فترت له عزيمة، وهاجر تاركاً أحبِّ البلاد إلى قلبه امتثالًا لأمر ربه، قائلاً: «والله إنكِ لأحبُّ بلاد الله إليَّ، ولولا أن قومك أخرجوني منكِ ما خرجت».

خليلُ الرحمن إبراهيم (عليه السلام): ذاق الأمرَّين في مسيرته؛ عاداه قومه وأبوه، وأُلقي في النار فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا. وابتُلي في عاطفة الأبوة حين ترك زوجته وابنه الرضيع بوادٍ غير ذي زرع، ثم جاءه الابتلاء الأعظم بالأمر بذبح فلذة كبده، فاستسلم لأمر الله وابنه قائلًا: (...سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) (الصافات: ١٠٢)، فكان الجزاء العظيم: (وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) (الصافات: ١٠٧).

أيوب (عليه السلام): أيقونة الصبر في التاريخ؛ ابتُلي في ماله ففقده، وفي ولده فماتوا، وفي جسده حتى عافه الناس وابتعدوا عنه لسنوات طوال، فلم يزد على أن رفع شكواه لخالقه بأدبٍ جمّ: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ) (الأنبياء: ٨٣-٨٤)، فكشف الله ضره وعوّضه أضعاف ما فقد.

نوح (عليه السلام): لبث في قومه ألفَ سنةٍ إلا خمسين عامًا، يدعوهم ليلًا ونهارًا، سرًّا وجهارًا، فلم يزده تكذيبهم واستهزاؤهم إلا صبرًا وثباتًا. وحتى عندما غرق ابنه أمام عينيه، قال في قمة أدب العبودية: (وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) (هود: ٤٥)، فجاءه الجواب الإلهي ليقرر ميزان الحق: (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (هود: ٤٦)، فسلَّم ورضي خاضعاً لحكم ربه.

موسى (عليه السلام): كانت قصته سلسلة متصلة من الابتلاءات؛ بدءاً من مولده في ظل طغيان فرعون، وإلقائه في اليم، وخروجه خائفًا يترقب مطارداً في الصحراء، وصولاً إلى مواجهته المباشرة للطاغية ومعاناته مع عناد قومه، حين تضرع قائلاً: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) (طه: ٢٥)، فكان النصر حليفه بعد الشدة، وفلق الله له البحر ليكون الفرج بعد الكرب.

عيسى (عليه السلام): واجه التكذيب، والاتهام الباطل، والمطاردة، فكان مثالًا يُحتذى في الزهد والصبر والترفع عن ماديات الدنيا، مؤيدًا من الله بالآيات، ومحفوظًا بعنايته حتى رفعه إليه.

يعقوب (عليه السلام): ابتُلي بفقد أحب أبنائه يوسف حتى ابيضت عيناه من الحزن والدموع، لكنه لم يفقد الأمل قط، وحافظ على يقينه بالله مسطراً كلمته الخالدة: (...فَصَبْرٌ جَمِيلٌ..) (يوسف: ١٨)، وموجهاً بوصلة قلبه: (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ...) (يوسف: ٨٦).

يوسف (عليه السلام): تنقَّل بين غدر الإخوة وظلمة الجبِّ، ثم الرقّ، ففتنة النساء، ثم قسوة السجن المظلم، ومن محنة إلى محنة، حتى مكنه الله فصار عزيز مصر، ليلخص رحلته الشاقة بقاعدة ذهبية: (... إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (يوسف: ٩٠).

رسالة إلى كل مبتلى

وهكذا كانت الشدائدُ دائمًا مصانع للرجال ومدارسَ للإيمان، تُربّي العزائم، وتُزكّي النفوس من شوائب الدنيا، وتشدُّ القلوب إلى ربها. فما تسلَّل الشيطان إلى قلوب هؤلاء الصفوة، ولا تمكَّن اليأس من نفوسهم، بل استثمروا البلاءَ في ترقّيهم الروحي، واتخذوه سُلَّمًا للقرب من الله.

فيا من ضاقت به السبل، وتكالبت عليه الهموم، اعلم يقينًا أن وراء كل بلاءٍ عطاءً مخبوءاً، ومع كل محنةٍ منحةً ربانية، وأن الليل مهما طال واشتدت ظلمته فالصبح آتٍ لا محالة؛ مصداقاً لقوله تعالى المؤكّد بتكرار القسم: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (الشرح: ٥-٦).

فاصبر صبراً جميلاً لا شكوى فيه للبشر، واثبت على مبادئك، وتعلَّق بحبل الله المتين بالدعاء والرضا، واستمسك بوعده الصادق. فإنما تُصاغُ النفوسُ العظيمةُ في أتون الابتلاءات، وتُكتبُ الخلوداتُ في صفحات الصبر الناصعة، وتذكّر دائماً وسام الشرف الإلهي: (...وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) (آل عمران: ١٤٦).

قصص ملهمة

من أعجب صور رحمة الله: أن يغفر للعبد مهما عَظُم ذنبه، إذا صدق في التوبة.

تأملوا قصة رجلٍ قتل مائة نفس! نعم... مائة نفس، ومع ذلك لم يُغلق في وجهه باب الرحمة.

خرج تائبًا صادقًا، قاصدًا طريق الله، فمات في الطريق، فاختلفت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله أن يُقاس ما بين الأرضين، فوجدوه أقرب إلى أرض الصالحين، فغفر الله له.

يا الله! أي رحمة هذه التي تسع قاتل مائة نفس؟! إنها رسالة لكل مذنب: لا تيأس... باب الله مفتوح. وانظروا إلى صورة أخرى من صور الرحمة...

امرأة بغيٌّ، أثقلت كاهلها الذنوب، رأت كلبًا يلهث من العطش، فنزلت بئرًا، وسقته، فغفر الله لها.

عملٌ يسير، لكنه خرج من قلب فيه رحمة، فكان سببًا في مغفرة عظيمة.

وهنا درسٌ بليغ:

أن الله لا ينظر إلى حجم العمل فقط، بل إلى صدق القلب وإخلاص النية.

أيها المسلمون...

ومن رحمة الله: أنه يقبل من العبد أقل القليل، ويغفر له الكثير.

رجلٌ لم يعمل خيرًا قط، ومع ذلك لما حضرته الوفاة خاف من الله خوفًا صادقًا، فأمر أهله أن يحرقوه، فلما سأله الله: ما حملك؟ قال: خشيتك يا رب. فغفر الله له. الله أكبر! خوف صادق... فكان سبب النجاة.

إن رحمة الله لا تظهر فقط في المغفرة، بل تتجلى كذلك في قلوب عباده.

مرَّ سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأةٍ وأطفالها يبكون من الجوع، فأسرع إلى بيت المال، وحمل الطعام بنفسه، وأبى إلا أن يطبخ لهم بيده، وظل ينظر إليهم حتى ضحكوا.

هذه الرحمة التي في قلب عمر، هي أثر من آثار رحمة الله.

يقول (ﷺ) قال: (الراحمون يرحُمهم الرحمنُ، ارحموا أهلَ الأرضِ يَرْحَمْكم من في السماءِ) (٢٠).

ولا تقنطوا من رحمته، ولا تيأسوا مهما بلغت ذنوبكم، فإن الله يقول:

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (الزمر: ٥٣)

إذا كانت رحمة الله بهذه السعة، فإن من أعظم ما تستهدفه هذه الرحمة: أن نتراحم فيما بيننا.

فمن أراد نيل رحمة الله، فليرحم عباد الله... في بيته، مع زوجته، مع أولاده، مع جيرانه، مع الفقراء والمساكين... مع زمائه ورؤسائه والمترددين عليه بل مع كل الناس والمخلوقات

واعلموا أن من أعظم ما يحرم الإنسان من الرحمة: القسوة، وظلم الناس، وقطع الأرحام.

عباد الله... إن الله أرحم بنا من أمهاتنا، ومع ذلك يعصيه كثير من الناس!

فأين العقول؟ وأين القلوب؟ عودوا إلى الله... افتحوا صفحة جديدة... توبوا إليه توبة صادقة...

وتذكروا دائمًا: أن الله يفرح بتوبة عبده، وأنه ينتظر رجوعكم إليه.

عن عبد الله بن مسعود (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (لَلَّهُ أشَدُّ فرَحًا بتَوبةِ عَبدِه المُؤمِن مِن رَجُل في أرض دَوِّيَّةٍ مَهلِكةٍ، معهُ راحِلَتُه عليها طَعامُه وشَرابُه، فنامَ فاستَيقَظَ وقد ذَهَبَت، فطَلَبَها حتَّى أدرَكَه العَطَشُ، ثُمَّ قال: أرجِعُ إلى مَكانيَ الذي كُنتُ فيه، فأنامُ حتَّى أموتَ، فوضَعَ رَأسَه على ساعِدِه ليَموتَ، فاستَيقَظَ وعِندَه راحِلَتُه وعليها زادُه وطَعامُه وشَرابُه، فاللهُ أشَدُّ فرَحًا بتَوبةِ العَبدِ المُؤمِن مِن هذا براحِلَتِه) (٢١).

فاللهم يا واسع الرحمة، يا عظيم المغفرة، ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، اللهم اغفر ذنوبنا، واستر عيوبنا، وتب علينا توبة نصوحًا، اللهم لا تجعلنا من القانطين، ولا من المحرومين، اللهم اجعلنا مفاتيح للخير، مغاليق للشر، اللهم ارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، وتولَّ أمرنا.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

جريمة الانتحار

الانتحار.. يأس من رحمة اللّه

حِفظُ النفس من المقاصدِ العُليا للشريعةِ الإسلاميةِ، وقتلُ النفس بغير حقّ من أكبر الكبائر؛ لذلك حرَّم الإسلام الانتحار تحريمًا قاطعًا، وعدَّه من الكبائر العظيمة التى تُغضب الله تعالى، لما فيه من التعدي على النفس التى كرَّمها الله وجعل لها حرمة عظيمة.

قال تعالى: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) (النساء: ٢٩).

فعن أبي هريرة (رضى الله عنه) أن النبى (ﷺ) قال: (اجتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ، قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ وما هُنَّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللَّهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبا، وأَكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَومَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ) (٢٢).

- فالإنسان لا يملك جسده ولا روحه حتى يتصرف فيهما كيف يشاء.
- بل هو مُؤتمن عليهما ومأمور بصيانتهما.
- ومُحاسب على التفريط فيهما.

وقد ورد في الحديث الشريف عن النبى (ﷺ) أنه قال: (مَن تَرَدَّى من جَبَل فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهو في نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فيه خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن تَحَسَّى سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ في يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن قَتَلَ نَفْسَهُ بحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ في يَدِهِ يَجَأُ بِهَا في بَطْنِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا

(٢٠) أخرجه الأئمة: أبو داود، والترمذي، وأحمد – صحيح.

(٢١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

أَبَدًا)[٢٣]، وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم حريصًا على زجر المسلم عن قتل نفسه.
وفي هذا الحديثِ يروي أبو هريرةَ رضى الله عنه عن النبيّ (ﷺ) أنه قال:
(مَن تَرَدَّى مِن جَبَل) أي: وقع من فوقِه متعمدًا فمات، فهو في نار جهنمَ يتردى فيها خالدًا مخلدًا أبدًا؛ جزاءً وفاقًا لعملِه.
(وَمَن تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ) أي: تجرع أو شرب (سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ) أي: تعمدَ ذلك، فسُمُّه في يدِه يتعاطاه ويتجرعُه في نار جهنمَ خالدًا مخلدًا فيها أبدًا.
(وَمَن قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ) أي: طعنَ نفسَه بسلاح أو غيره، فحديدتُه في يدِه يطعنُ بها في بطنِه في نار جهنمَ خالدًا مخلدًا فيها أبدًا.
وقولُه: (خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا) محمولٌ على من فعل ذلك مستحلًّا له مع علمِه بالتحريم، أو على أنه يعنى طولَ المدَّةِ والإقامةِ التى يُخلَّد فيها قاتلُ نفسِه إن أُنفذ عليه الوعيدُ، ولا يعنى خلودَ الدوامِ؛ إذ قتلُ النفس – دونَ استحلالِ لذلك – هو ذنبٌ وكبيرةٌ من الكبائر، وليس كفرًا مخرجًا من الملةِ، وفي الحديثِ: الوعيدُ الشديدُ لمن قتلَ نفسَه، وفيه: أن نفسَ العبدِ ليست ملكًا له؛ فليس له أن يتصرَّفَ فيها بغير إذنِ مالكِها سبحانه وتعالى.
وبيان خطورة الانتحار وعاقبته الأليمة، فهو لا يخلّص المنتحر من همومه، بل يوقعه في عذاب أشد وأطول [٢٤].

القرآن يواجه الانتحار

يقول أستاذنا الدكتور عبد العزيز فرج محمد موسي: الانتحار وباء المفلسين إيمانيا أليس لكم عبرة في أهل غزة كيف قاوموا. القرآن العظيم لم يهمل هذه الظاهرة، فقد أعطى أهمية كبرى حول هذا الأمر وعلاجه، فتحدث عنه بكل بساطة ووضوح، بل أمرنا أن نحافظ على أنفسنا ولا نقتلها فقال: (...وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ ...) (النساء: ٢٩). ولكن هل يكفي هذا الأمر لعلاج هذه الظاهرة الخطيرة؟ لا، لأن الدراسات الحديثة تؤكد على ضرورة بث الأمل لدى أولئك اليائسين المقدمين على الانتحار، وضرورة معاملتهم معاملة رحيمة، ولذلك نرى مئات المواقع والمراكز قد خصصت لعلاج ومواساة من لديه ميل نحو الانتحار أو يحاول ذلك.
ولذلك فقد أتبع الله تعالى أمره هذا بخبر سار لكل مؤمن، يقول تعالى: (...إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا...) (النساء: ٢٩)... إنه نداء مفعم بالرحمة والتفاؤل والأمل. ولكن لماذا هذا النداء؟
إذا علمنا بأن معظم حالات الانتحار سببها فقدان الأمل من كل شيء عندها ندرك أهمية الحديث عن الرحمة في هذا الموضع بالذات.
ولكن هل يكفي الحديث عن الرحمة والأمل؟ لا، لأن بعض الناس لا يستجيبون لنداء الرحمة، ولا بدّ من تخويفهم من عواقب الانتحار. ويؤكد العلماء في أبحاثهم عن منع الانتحار أنه لا بدّ من تعريف الأشخاص ذوي الميول الانتحارية إلى خطورة عملهم وعواقبه وأنه عمل مؤلم وينتهي بعواقب مأساوية.
وهذه الطريقة ذات فعالية كبيرة في منعهم من الانتحار. وهذا ما فعله القرآن، يقول تعالى في الآية التالية مباشرة: (...وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا . وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) (النساء: ٢٩-٣٠). وتأمل معي هذا العقاب الإلهي: "فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَاراً".
من هنا ندرك أن القرآن العظيم لم يغفل عن هذه الظاهرة بل عالجها العلاج الأمثل. ولذلك نجد أن أخفض نسبة للانتحار هي في العالم الإسلامي!! وذلك بسبب تعاليم القرآن الكريم. بينما يعاني الغرب من عدم وجود تعاليم تمنعه من الإقدام على الانتحار فتجد نسبة الانتحار عالية لديهم [٢٥].
الفقرُ ليس مبررًا للانتحار، والدليلُ على ذلك أنَّ حالاتٍ كثيرةً وقعت لأشخاصٍ ذوي دخولٍ مرتفعةٍ، ومكانةٍ اجتماعيةٍ مرموقة؛ فقد أقدمت إحداهنَّ –رغم ارتفاع دخلها– على إلقاء نفسها، كما أقدم قاضٍ ميسور الحال على إنهاء حياته بإطلاق النار على نفسه.
وهذا يؤكد أنَّ المشكلةَ في حقيقتها متعددةُ الأسباب، متشابكةُ العوامل؛ فلا يُنكر أن الفقرَ قد يكون أحدَ هذه الأسباب، لكنه ليس السببَ الوحيد، بل قد تتداخل معه عواملُ نفسية، وضغوطٌ حياتية، وفراغٌ

---

(٢٣) أخرجه البخاري في صحيحه.
(٢٤) الدرر السنية – شرح الحديث– بتصرف.
[٢٥] https://www.facebook.com/share/p/1CpXnNgwx2/

روحي، وضعفُ صلةٍ بالله تعالى. ومن ثَمَّ، فإن معالجةَ هذه الظاهرة تستهدف فهمَ جذورها المتنوعة، والتعاملَ معها معالجةً شاملةً، تُراعي البعدَ الإيمانيَّ والنفسيَّ والاجتماعيَّ معًا.

السنة النبوية تحذر من قتل النفس:

وفي السنة النبوية، تحذير بالغ الأهمية في أن يتجرأ الإنسان على قتل نفسه، قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ عُذِّبَ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ» وقَالَ: «كَانَ بِرَجُلٍ جِرَاحٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَدَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ" وقال: "الَّذِي يَخْنُقُ نَفْسَهُ، يَخْنُقُهَا فِي النَّارِ، وَالَّذِي يَطْعُنُهَا، يَطْعُنُهَا فِي النَّارِ» (أخرجه البخاري).

ونهى النبي (ﷺ) عن تمني الموت وليس مجرد الإقبال عليه، وذلك في قوله (عليه الصلاة والسلام): «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي».

وزارة الأوقاف المصرية تجيب:

حكم الانتحار فى الإسلام،و هل المنتحر كافر؟ وهل يغفر الله له وما مصيره فى الآخرة؟

أسئلة مؤلمة تتردد في أذهان كثير من الناس، خاصة عند فقدان عزيز أو المرور بضيق شديد.

في هذا البيان التالية أوضحت وزارة الأوقاف الحكم الشرعى للانتحار في الإسلام، وكشفت رأي العلماء في مصير المنتحر، وهل يُصلى عليه ويُدعى له أم لا؟

على النحو التالي:

ما حكم الانتحار؟

هل المنتحر كافر؟ وهل يدخل النار؟

هل يُغفر للمنتحر؟

هل يجوز الصلاة على المنتحر؟

ما حكم الانتحار؟

المنتحر في الإسلام ليس كافرًا عند جمهور العلماء، لكنه ارتكب كبيرة عظيمة من الكبائر، ويُغسَّل ويُصلى عليه، وأمره إلى الله: إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

من المقرَّر شرعًا أنَّ الشريعة الإسلامية الغراء قد عظَّمت من شأن النفس الإنسانية، وجعلت حفظها وصيانتها من أسمى مقاصدها وكبريات ضرورياتها، ولهذا، لم تكتفِ الشريعة بتحريم الاعتداء على النفس فحسب، بل أوجبت على المسلم دفع أيّ خطر يهدد حياته؛ التزامًا صريحًا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ [النساء: ٢٩].

وتُمثِّل هذه الآية الكريمة نصًّا قاطعًا في تحريم الإقدام على الانتحار بجميع صوره، وقد أوضح الإمام ابن عطية في تفسيره أنَّ النهى هنا يشمل العمد في قتل النفس، كما يشمل تعريضها لخطر ربما تموت منه، وممَّا يُستدلُّ به في هذا الباب، احتجاج الصحابي الجليل عمرو بن العاص –رضى الله عنه– بهذه الآية حين امتنع عن الاغتسال بالماء البارد خوفًا على حياته، فأقرَّه النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك الاستدلال [المحرر الوجيز (٢/ ٤٢)].

وفي السُّنة النبوية المطهَّرة، تتواتر الأحاديث التى تؤكِّد أنَّ إنهاء الإنسان لحياته يُعدُّ إثمًا عظيمًا وكبيرةً من أكبر الكبائر، وتتوعَّد فاعله بأشدِّ العقوبات؛ فقد ورد عن النبى ﷺ أنه قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» [متفق عليه].

ويبين الإمام ابن حجر العسقلاني عِلَّة هذه العقوبة؛ موضحًا أنَّ قوله تعالى: «بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ» كنايةٌ عن استعجال العبد للموت، وبما أنَّ الله سبحانه لم يُطلعه على غيب انقضاء أجله، فاختار هو أن ينهى حياته بيده معتديًا على حقّ الخالق في استرداد وديعته، فقد استحقَّ العقوبة على عصيانه وتجاوزه [فتح الباري (٦/ ٥٠٠)].

هل المنتحر كافر؟ وهل يدخل النار؟

لا، المنتحر ليس كافرًا، بل هو مؤمن عاص ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب.

فقد ورد في السنة النبوية وعيد شديد للمنتحر، لبيان عِظَم الجرم وتنفيرًا للناس منه، كما في قوله ﷺ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا

فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» [صحيح البخاري: (٥٧٧٨)].

توجيه العلماء للحديث: أجمع علماء الأمة على أن لفظ "الخلود" في الحديث يُحمل على أحد وجهين:

أنه ينطبق على من استحلّ الانتحار معتقدًا إباحته، فمن استحل حرامًا معلومًا من الدين بالضرورة فقد كفر.

أن المقصود بالخلود هنا هو "طول المكث" في النار وليس البقاء الأبدي، فكل من مات على التوحيد لا يخلد في النار أبدًا.

قال العلامة الملا القاري رحمه الله في شرح هذا الحديث: "قَالَ الطِّيبِيُّ رحمه الله: وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ مُسْتَحِلِّينَ لَهُ وَإِنْ أُرِيدَ مِنْهُ الْعُمُومُ، فَالْمُرَادُ مِنَ الْخُلُودِ وَالتَّأْبِيدِ الْمُكْثُ الطَّوِيلُ الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ دَوَامِ الِانْقِطَاعِ لَهُ، وَاسْتِمْرَارِ مَدِيدٍ يَنْقَطِعُ بَعْدَ حِينٍ بَعِيدٍ لِاسْتِعْمَالِهِمَا فِي الْمَعْنَيَيْنِ، فَيُقَالُ: وَقَفَ وَقْفًا مُخَلَّدًا مُؤَبَّدًا، وَأُدْخِلَ فُلَانٌ حَبْسَ الْأَبَدِ، وَالِاشْتِرَاكُ وَالْمَجَازُ خِلَافُ الْأَصْلِ فَيَجِبُ جَعْلُهُمَا لِلْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَهُمَا لِلتَّوْفِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الدَّلَائِلِ، فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا تَصْنَعُ بِالْحَدِيثِ الَّذِي يَتْلُوهُ مَرْوِيًّا عَنْ جُنْدُبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ» الْحَدِيثَ، قُلْتُ: هُوَ حِكَايَةُ حَالٍ لَا عُمُومَ فِيهَا، إِذْ يَحْتَمِلُ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ كَافِرًا، أَوِ ارْتَدَّ مِنْ شِدَّةِ الْجِرَاحَةِ، أَوْ قَتَلَ نَفْسَهُ مُسْتَبِيحًا مَعَ أَنَّ قَوْلَهُ: فَحَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ لَيْسَ فِيهِ مَا يَدُلُّ ظَنًّا عَلَى الدَّوَامِ وَالْإِقْنَاطِ الْكُلِّيِّ فَضْلًا عَنِ الْقَطْعِ، قَالَ التُّورِبِشْتِيُّ: لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ بِصَدَدِ أَنْ يَحْمِلَهُ الضَّجَرُ وَالْحُمْقُ وَالْغَضَبُ عَلَى إِتْلَافِ نَفْسِهِ، وَيُسَوِّلَ لَهُ الشَّيْطَانُ أَنَّ الْخَطْبَ فِيهِ يَسِيرٌ، وَهُوَ أَهْوَنُ مِنْ قَتْلِ نَفْسٍ أُخْرَى حَرُمَ قَتْلُهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِنَفْسِهِ مُطَالِبٌ مِنْ قِبَلِ الْخَلْقِ فَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، أَعْلَمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُكَلَّفِينَ أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ عَنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمُعَذَّبُونَ بِهِ عَذَابًا شَدِيدًا، وَأَنَّ ذَلِكَ فِي التَّحْرِيمِ كَقَتْلِ سَائِرِ النُّفُوسِ الْمُحَرَّمَةِ ا.هـ [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٦/ ٢٢٦٢].

هل يغفر للمنتحر؟

نعم، مآل المنتحر مفوض إلى الله تعالى، وهو ما يُعرف بـ "تحت المشيئة".

الدليل القرآني: القاعدة العامة في كبائر الذنوب تتجلى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨].

والانتحار يدخل فيما "دون الشرك".

الدليل النبوي الحاسم (حديث الطفيل بن عمرو):

وهو العمدة في هذا الباب؛ حيث هاجر الطفيل بن عمرو الدوسي ومعه رجل من قومه إلى المدينة، فمرض الرجل واشتد عليه الألم، فجزع وقطع مفاصل يديه فنزف حتى مات، فرآه الطفيل في المنام وهيئته حسنة، ولكنه مغطٍّ يديه، فسأله: ما صنع بك ربك؟ فقال: "غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ"، فقال الطفيل: ما لِي أراك مغطيًا يديك؟ قال: "قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ"، فقصها الطفيل على رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ داعيًا له: «اللَّهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ» [صحيح مسلم: (١١٦)].

فهذا الحديث دليل قاطعًا على أن المنتحر لا يكفر، وأن الله قد يغفر له، وأن الدعاء له مشروع ونافع.

هل يجوز الصلاة على المنتحر؟

يُعامل المنتحر معاملة أموات المسلمين بالكامل؛ فيُغسَّل، ويُكفَّن، ويُصلى عليه، ويُدفن في مقابر المسلمين.

الامتناع النبوي للزجر:

ثبت أن النبي ﷺ امتنع عن الصلاة على منتحر بنفسه، كما روى جابر بن سمرة رضى الله عنه: "أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بِمَشَاقِصَ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ" [صحيح مسلم: (٩٧٨)].

الفقه من الحديث:

أوضح الإمام النووي وغيره من شراح الحديث أن امتناع النبي ﷺ كان من باب "الزجر" ليرتدع الناس عن هذا الفعل، ولكنه لم ينهَ الصحابة عن الصلاة عليه.

قال الإمام النووي رحمه الله: "قَالَ الْحَسَنُ وَالنَّخَعِيُّ وَقَتَادَةُ وَمَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ وَجَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَأَجَابُوا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ زَجْرًا لِلنَّاسِ عَنْ مِثْلِ فِعْلِهِ وَصَلَّتْ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَهَذَا كَمَا تَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ عَلَى مَنْ عَلَيْهِ دَيْنٌ زَجْرًا لَهُمْ عَنِ التَّسَاهُلِ فِي الِاسْتِدَانَةِ وَعَنْ إِهْمَالِ وَفَائِهِ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَقَالَ ﷺ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ» قَالَ

الْقَاضِي: مَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ كَافَّةً الصَّلَاةُ عَلَى كُلّ مُسْلِم وَمَحْدُودٍ وَمَرْجُومٍ وَقَاتِلِ نَفْسِهِ وولد الزنى" [شرح النووي على مسلم ٧/ ٤٧]

البعد النفسي والطبي: تؤكد المجامع الفقهية المعاصرة أن الكثير من حالات الانتحار تقع نتيجة أمراض نفسية قاهرة (كالاكتئاب الحاد أو الفصام) تُفقد الإنسان أهليته وإرادته.

سقوط التكليف: فالمريض الذي يفقد عقله أو إرادته الحرة بسبب المرض غير مكلف شرعًا، ويُعد فاقدًا لأهلية الاختيار، والدليل على ذلك قوله ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ» [سنن أبي داود: (٤٤٠٣)]، فإذا أثبت الطب أن المنتحر كان تحت تأثير مرض سلبه عقله وإرادته، فهو معذور شرعًا، ولا يأثم، وتُرجى له رحمة الله الواسعة.

الخلاصة: الانتحار إثم عظيم، لكن الشريعة لم تغلق باب الرحمة، فالمنتحر المسلم في ذمة الله ومشيئته، يُصلى عليه، ويُدعى له بالمغفرة، وتتسع له رحمة الله، خاصة إذا كان أسيرًا لمرض نفسي أفقده الإرادة[٢٦]..

رسالة من الله لكل مكروب

ومن رحمة الإسلام بعباده أنه فتح أبواب الأمل والتوبة دومًا، وأرشد من ضاقت به الدنيا إلى الصبر والاحتساب واللجوء إلى الله، فقال تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة: ١٥٥-١٥٧). وقال تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) (الشرح: ٥-٦). فما من شدة إلا ويتبعها فرج، وما من ضيق إلا وله مخرج، ومن توكَّل على الله كفاه، ومن استعان به أعانه. يقول النبي (ﷺ): (عَجَبًا لأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا له، وإِنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكانَ خَيْرًا له) [٢٧].

قصة الغزالة التي أحاطها الموت من كل مكان فأدركها الله بعنايته

- **رسالة لكل من ضاقت عليه السبل - علمتني غزالة - قصة تربوية ملهمة**

دعوني أقص هذه القصة البديعة، التي قد تكون واقعية أو رمزية أو خيالية، لكنها تمثّل واقعًا كثيرًا ما نمرّ به في حياتنا. تُعلِّمُنا فيها غزالة كيف يكون التوكل الحق، وكيف تُصنع المعجزات حين نُسلِم الأمر لله.

إنها قصة تُجسد معنى التوكل على الله، والثقة بتدبيره، والثبات عند المحن، وتُقدّم درسًا بليغًا في تواتر رحمات الله وعنايته التي لا تنقطع.

في عمق الغابة، كانت هناك غزالة حامل، اقترب موعد ولادتها، فذهبت إلى مكان ناءٍ في أطراف الغابة، قرب نهر هادئ، تبحث عن مأوى آمن لتلد فيه.

لكن... وبينما هي تتأهّب للولادة، بدأت السماء ترعد وتبرق، واندلع حريق كبير في الغابة بسبب البرق، والنار بدأت تزحف نحوها!

- نظرت عن شمالها... فإذا بصياد يوجّه إليها سهماً يريد أن يقتلها.
- نظرت عن يمينها... فإذا بأسد جائع يقترب منها ليفترسها.
- النار خلفها... تلتهم الأشجار بسرعة وتقترب منها.
- أما أمامها... فلا يوجد إلا النهر العميق الذي إن هربت إليه، فإنها ستغرق حتما.

لقد أُحيطت بالمخاطر من كل جانب... وليس لها مفر!

فكرت الغزالة في لحظة سريعة:

١- إن ركضت، افترسها الأسد.

٢- وإن ثبتت، قتلها الصياد.

٣- وإن قفزت، أغرقتها المياه.

٤- وإن ترددت، أحرقتها النيران!

يا الله يا الله يا الله

فماذا فعلت؟

لم تصرخ، ولم تنهار، ولم تتوقف... بل فعلت ما تستطيع فعله:

ركّزت على الولادة، وأوكلت ما لا تملك أمره إلى الله...

وهنا أدركتها عناية الله...

فانظروا إلى تدبير الله!

---

(٢٦) موقع وزارة الأوقاف المصرية/ حكم الانتحار في الإسلام هل المنتحر كافر؟ وهل يغفر الله له وما مصيره في الآخرة؟ | وزارة الأوقاف.

(٢٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

- البرق أعمى الصياد، فاختل تصويبه.
- فانطلق السهم فأصاب الأسد الجائع فخرّ ميتًا.
- وهطلت أمطار غزيرة، فأطفأت النيران التى كانت تقترب.
- وولدت الغزالة صغيرها بسلام، وعاشت بعد أن كانت ترى الموت من كل الجهات!

تأملوا! كم مرة كنّا في مثل حال هذه الغزالة؟

مواقف نحسب أنه لا مخرج منها، وأن الخطر يُحيط بنا من كل صوب...

لكننا إن فعلنا ما نستطيع، وثبتنا على ما نقدر، وأوكلنا ما لا حيلة لنا فيه إلى الله، جاءنا الفرج من حيث لا نحتسب. قال الله تعالى: (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (الطلاق: ٢-٣). فيا من ضاقت عليه السبل... ويا من حاصره الخوف والقلق والهموم... قل: "يا رب، عندي همّ كبير"، ففرجه يا رب العالمين.

ومن هذه القصة التربوية الملهمة نتعلم:

-معاني التوكل الحقيقى.
-ترتيب الأولويات.
-الفرج سيأتي حتما.
-الفرح يأتي مع الفرج.
-غلاوة النفس والأولاد والذرية.
-وأيضا نتعلم معاني التضحية من أجل الأولاد.
-وأن مَن أحسن الظن بالله، لا يخيب أبدًا.
-وأن الثبات في الشدة مفتاح كل نجاة.
-وأن الخوف لا يغيّر القدر، لكن الإيمان يُغيّرنا.
-وأن الفزع يضلّ الطريق، والتوكل يهدي السبيل.
-وأن صبر لحظة في الشدة، فيه خير كثير.
-وأنه مع كل عُسر، يُولد يُسر.
-وأن من حافظ على الأمانة وحافظ الله في صغره، حفِظه الله بعينه التى لا تنام (احفظ الله يحفظك).

والله يدبّر ما لا نراه، ويرتب ما لا ندركه، ومن توكل على الله كفاه، ومن احتمى به نجاه...

ما الواجبات العشرة المطلوبة منا الآن؟

أقول وبالله تعالى التوفيق المطلوب منا:

أولا: أن نفهم طبيعة الحياة وأنها قائمة على الامتحان والاختبار والابتلاء والتمحيص قال تعالى: أحسب الناس أن يتركوا أن يقول آمنا وهم لا يفتنون

ثانيا: أن نحسن الظن بالله، ونوقن أن لنا ربا رحيما قَالَ رَسُولُ اللهِ: يَقُولُ اللهُ: (قال اللهُ تبارَك وتعالى : أنا عندَ ظنّ عبدي بي وأنا معه حيثُ يذكُرُني إنْ ذكَرني في نفسِه ذكَرْتُه في نفسي وإنْ ذكَرني في مَلَإٍ ذكَرْتُه في مَلَإٍ خير منهم وإنْ تقرَّب منّي ذراعًا تقرَّبْتُ منه باعًا وإنْ أتاني يمشي أتَيْتُه هَرولةً) (٢٨) (متفق عليه).

ثالثا: أن نحسن تربية أولادنا ورعايتهم منذ الصغر ، ويبدأ ذلك بحسن اختيار كل من الزوجة والزوجة ونزرع الإيمان والرضا والقناعة والرجولة والرحمة في نفوسهم لينشؤوا على مبادئ الإسلام السامية منذ نعومة أظفارهم.

رابعا: على أن نفعل قيم الإسلام النبيلة ومن بينها قيم التعاطف والتكافل والتراحم، ونطبق الإسلام النظري والعملى في واقع الحياة، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، فمن ضغطت عليه ضغوط الحياة يجب أن يجد بجواره من يقف بجانبه يحنو عليه ويخفف عنه الآلام قولا وعملا، ولنعلم أن شكر الله على نعمائه لا يكون بالقول فحسب؛ بل يجب أن يكون بالفعل (رعاية وعناية وبذلا وجبرا...) للمحتاجين، واعلموا أن هناك فئة من أصحاب العفاف يحسبهم الناس أغنياء من التعفف، لا يستطعون ضربا في الأرض يتضورون جوعا ولا يسألون الناس إلحافا... ابحثوا عنهم... فتشوا عنهم... جاهدوا في الله حق جهاده لتصلوا إليهم يقول الحق تبارك وتعالى: (...وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ . لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ

(٢٨) أخرجه البخاري ، ومسلم ، وابن ماجه ، وأحمد واللفظ لهم.

أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ . الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة: ٢٧٢-٢٧٤) .

خامسا: إشباع الفقراء بالطعام والشراب والدواء والكساء والغطاء، وإشباع الضعفاء بالرحمة والحماية والعناية، وإشباع المرضى بالأمل، وإشباع المكلومين بالتفاؤل، وإشباع اليائسين برحمة الله، وإشباع المنكسرين بجبر الله، وقال (ﷺ): (ما آمَنَ بِي مَن بات شَبْعانًا وجارُه جائِعٌ إلى جَنبِه وهو يعلَمُ) [٢٩].

سادسا: الصحبة الطيبة.. الصحبة الطيبة.. الصحبة الطيبة أقولها بأعلى صوتي وأكررها وسأظل، وأقول لحضراتكم.. في بلدنا زرعنا النعناع فكبر ونما، وزرعنا بجواره الشاي الأخضر فنما وكثر، وسبحان الله، ونظرا لمجاورتهما –أقول مجاورة وليس مخالطة تامة– حدث شيء عجيب؛ اكتسب الشاي من رائحة النعناع، فعندما تغليه وتعده للشراب تجد نفسك كأنك تشرب شاي بالنعناع... وعندما تغلي النعناع منفردا تشعر معه بطعم الشاي الأخضر، ويالها من رسالة عظيمة من الله... وهذا الأمر عندنا نُطَعِّم بشكل ناجح شجرة لا تثمر –أو إثمارها ضعيف– بعقلة من شجرة مثمرة وقوية، تتحول الشجر بفضل الله بعد ذلك إلى شجرة مثمرة قوية عفية، وكل ذلك بسبب الصحبة الجيدة الطيبة... وهنا وعلى الفور نتذكر حديث جميلا جليلا لسيدنا النبي (ﷺ)، فعن أبي موسى الأشعري (رضى الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: (مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والسَّوْءِ، كَحامِلِ المِسْكِ ونافِخِ الكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ: إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ، وإمَّا أنْ تَبْتاعَ منه، وإمَّا أنْ تَجِدَ منه ريحًا طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ: إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ، وإمَّا أنْ تَجِدَ ريحًا خَبِيثَةً) [٣٠].

سابعا: الدعاء والرجاء في رحمة الله، واقتفاء آثار سيدنا رسول الله (ﷺ) فعن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: كان لرسولِ اللهِ (ﷺ) دعواتٍ لا يدعهُنَّ (اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من الهمّ والحَزَنِ، والعجز والكسل ، والبخل والجبنِ ، والدَّيْنِ وغلبةِ الرجالِ) [٣١].

عن أنس بن مالِكٍ (رضى الله عنه) قالَ : كنتُ أخدُمُ النَّبيَّ (ﷺ) فَكُنتُ أسمعُهُ كثيرًا يقولُ: (اللَّهمَّ أعوذُ بِكَ منَ الهمّ والحزنِ وضلَعِ الدَّين وغلبةِ الرّجالِ) [٣٢].

وعن سعيد الخدري (رضى الله عنه) قال: دخلَ رسولُ اللَّهِ (ﷺ) ذاتَ يومٍ المسجدَ فإذا هوَ برجل منَ الأنصارِ يقالُ لَهُ أبو أمامةَ فقالَ: يا أبا أمامةَ ما لي أراكَ جالسًا في المسجدِ في غيرِ وقتِ الصَّلاةِ.

قالَ همومٌ لزمتني وديونٌ يا رسولَ اللَّهِ.

قالَ (ﷺ): (أفلاَ أعلِّمُكَ كلامًا إذا أنتَ قلتَهُ أذْهبَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ همَّكَ وقضى عنْكَ دينَكَ).

قالَ: قلتُ بلى يا رسولَ اللَّهِ.

قالَ (ﷺ): (قل إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ اللَّهمَّ إنّي أعوذُ بِكَ منَ الْهمّ والحزنِ وأعوذُ بِكَ منَ العجز والْكسلِ وأعوذُ بِكَ منَ الجبنِ والبخلِ وأعوذُ بِكَ من غلبةِ الدَّين وقَهرِ الرّجالِ).

قالَ ففعلتُ ذلِكَ فأذْهبَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ همّي وقضى عنّي دينِي[٣٣].

عن أنس بن مالِكٍ (رضى الله عنه) قالَ : كان رسولُ اللهِ (ﷺ) يتعوَّذُ من ثَمانٍ: (الهَمّ، والحَزَنِ، والعَجز، والكَسَل، والبُخل، والجُبن، وغَلَبةِ الدَّيْن، وغَلَبةِ العدُوّ) [٣٤]..

ثامنا: تلاوة القرآن يقول الحق تبارك وتعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) (الأنفال: ٢-٤)، ويقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ) (فاطر: ٢٩)، وقال تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) (الإسراء: ٨٢)

تاسعا: الإكثار من ذكر الله حتى يكون الذكر منهج قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الأحزاب: ٤١-٤٢) . ويقول تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا

---

(٢٩) خرجه البزار كما في (مجمع الزوائد) للهيثمي، والطبراني، وأخرجه المنذري في الترغيب والترهيب – إسناده حسن.

(٣٠) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٣١) أخرجه النسائي واللفظ له، وأخرجه البخاري ، ومسلم مطولاً.

(٣٢) أخرجه أبو داود بلفظه، والبخاري ، والترمذي ، والنسائي جميعهم باختلاف يسير.

(٣٣) أخرجه أبو داود واللفظ له، والبيهقي في الدعوات الكبير.

(٣٤) أخرجه شعيب الأرناؤوط في تخريج المسند لشعيب – صحيح.

بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد: ٢٨)، أي: تسكنُ، وتستأنسُ بجلال الله؛ فتطمئن، ومِنْ ثَمَّ يزول قلقها، واضطرابها، **وقد وردت هذه الآية في سورة الرعد، والرعد مخيف، فجاءت الآية العظيمة لتبثَ الأمل، والتفاؤل، والطمأنينةَ، والسكينةَ في قلوب الذاكرين.**

عاشرا: التوبة والأوبة والرجوع إلى الله فيها النجاة، فالله تعالى يفرح بتوبة عبده فتح النبي (ﷺ) أبواب الرجاء على مصراعيها، وضرب للناس مثلًا يهز المشاعر، حين شبَّه فرح الله بتوبة عبده بفرح من استعاد حياته بعد ضياع بعيره في الصحراء، ليؤكد أن طريق العودة إلى الله مفتوح، وأن اليأس انقطاع عن الرحمة لا عن الذنب.

وأختم بالأبيات التالية:

يا صاحبَ الهمّ إنَّ الهمَّ مُنْفَرِجٌ *** أَبْشِرْ بخير فـإنَّ الفارجَ اللهُ
اليأسُ يَقْطَعُ أحيانًا بصاحِبِهِ *** لا تَيْئَسَنَّ فـإنَّ الكافيَ اللهُ
اللهُ يُحْدِثُ بعـدَ العُسر مَيْسَرَةً *** لا تَجْزَعَنَّ فـإنَّ القاسمَ اللهُ
إذا بُلِيتَ فثِقْ باللهِ، وارْضَ بهِ *** إنَّ الذي يَكْشِفُ البَلْوَى هو اللهُ
واللهِ ما لَـكَ غيرُ اللهِ مِن أحدٍ *** فحَسْبُكَ اللهُ في كـلٍّ لكَ اللهُ

ندائي إلى الأمة: خفّفوا عن الناس يخفّف الله عنكم

- **خفِّفوا ضغوط الحياة** عن الناس، ولا تُحمِّلوهم فوق طاقتهم؛ فكم من نفس أثقلها الحملُ حتى كادت تنكسر، وكم من قلبٍ أنهكته الأعباءُ حتى ضاق بالحياة.
- **خفِّفوا الأسعار يا أيها التجار**، واستحضروا يومًا تُوزن فيه الأعمال، وتُكشف فيه الذمم؛ فإن الربح الحقيقي ليس في تضخم الأرقام، بل في بركة الحلال ودعوة المظلوم.
- **خفِّفوا عن المرضى يا أيها الأطباء**، وارفقوا بمن أنهكهم الألم؛ واعلموا أنكم تتقلبون في نعم الله وستره، وأن رصيد الستر يزيد بالطاعة والإحسان، وينقص بالجفاء والطمع، فإياكم ثم إياكم أن يُسلب منكم هذا الستر.
- **خفِّفوا ضغوط الدراسة يا أيها المسؤولون**، ويسِّروا سبل التعلم، ولا تجعلوا مناهجنا عبئًا يُرهق العقول، فينشأ أبناؤنا مثقلين، نافرين من العلم، كارهين لمسيرته.
- **خفِّفوا عن أرباب الأسر، فقد ضاقت الموارد، وتكاثرت الالتزامات**؛ فكونوا عونًا لا عبئًا، ورحمةً لا مشقة.
- **خفِّفوا عن الموظفين في أعمالهم، فلا تُثقلوهم بما لا يُطاق، ولا تُرهقوهم بتعقيد الإجراءات**؛ فإن بيئة العمل الرحيمة تُنبت الإبداع، وتُثمر الإخلاص.
- **خفِّفوا عن الشباب، واحتووا طاقاتهم، وقربوا إليهم فرص الأمل والعمل؛ فإن اليأس إذا تسلّل إلى القلوب أفسدها، وأظلم الطريق أمامها**.
- **خفِّفوا بالكلمة الطيبة، والابتسامة الصادقة**، والرفق في المعاملة؛ فرب كلمةٍ رفعت إنسانًا، ورب قسوةٍ هدمت نفسًا.

ومن معالم هذا التخفيف وواجباته العملية:

١. خفِّفوا بالأقوال الطيبة

الكلمة دواء أو داء؛ فأحسنوا خطابكم، واجعلوا كلماتكم رحمةً تُسكِّن القلوب.

٢. خفِّفوا بقضاء الحوائج

تفريج كربة، أو سعي في مصلحة، أو إرشاد محتاج؛ وكل ذلك بابٌ يستهدف رفع العنت عن الناس.

٣. خفِّفوا بالستر لا بالتشهير

زلات الناس تُعالَج بالحكمة لا بالفضيحة؛ فالستر رحمة، والتشهير زيادة في الألم.

٤. خفِّفوا برفع الظلم

قاوموا الظلم قولًا وعملًا؛ فإن ذلك يستهدف إقرار العدل، وصيانة الكرامة الإنسانية.

٥. خفِّفوا بالتيسير لا بالتعسير

ليكن منهجكم قائمًا على التيسير المنضبط، لا التشديد المنفِّر.

٦. خفِّفوا بالمواساة والدعم النفسي

الإنسان يحتاج إلى من يسمعه ويفهمه؛ فالمواساة الصادقة تُخفِّف أثقالًا لا تُرى.

٧. خفِّفوا بنشر الأمل وعدم بث اليأس

إحياء الرجاء في النفوس عبادة، تستهدف بعث الطمأنينة ومقاومة الإحباط.

٨. خفِّفوا بالعطاء ولو بالقليل

ما قلَّ مع الإخلاص يكثُر أثره، ويعظم نفعه.

٩. خفِّفوا بحسن الظن والتماس الأعذار

التماس العذر يُطفئ نيران الخصومة، ويُعيد جسور المودة.

١٠. خفِّفوا بإصلاح ذات البين

الإصلاح بين المتخاصمين من أعظم القربات، يستهدف جمع القلوب بعد تفرُّقها.

هذه الواجبات إذا فُعِّلت في واقع الأمة أسهمت في بناء مجتمع رحيم متماسك، تُظلِّله معاني الرحمة، وتتحقق فيه البشارة: «يُخفِّفِ الله عنكم».

هذه الواجبات –إذا فُعِّلت– أسهمت في بناء مجتمع رحيم متماسك، تُظلِّله معاني الرحمة، وتتحقق فيه بشارة: «يُخفِّفِ الله عنكم».

واعلموا أنَّ اللهَ يُحِبُّ المحسنين، وأنَّ اللهَ قريبٌ من المحسنين، وأنَّ أهل الإحسان في الدنيا هم أهل الإحسان في الآخرة، وأنَّ الراحمين يرحمهم الرحمن؛ فارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء.

فاللهم أصلح أولادنا، وبارك في ذرياتنا، واجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وارزقنا حسن شكر نعمك علينا وارزقنا صدق التوكل عليك، وحسن العمل بين يديك، واجعل ما نتركه بعدنا نورًا لنا ولهم في دنياهم وآخرتهم... يا رب العالمين . اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، وهيّئ لهم البطانة الصالحة الناصحة، ووفقهم لما فيه خير العباد والبلاد. اللَّهُمَّ احفظ شبابنا من الفتن، وألّف بين قلوبنا، ووفّقنا للعمل الصالح الذي يرضيك عنا. اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين. اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلِّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. (...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (...الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ..) (الأعراف: ٤٣)... اللهم تقبل هذا العمل من الجميع...

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون. فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وأقم الصلاة.

خادم الدعوة والدعاة

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman55555@gmail.c m

يُرجي من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

https: //www.facebook.com/share/16u6EDacEw/?mibextid=LQQJ4d

https://www.facebook.com/drahmedalisoliman/